قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (4)، فبراير، شباط 2020م. ص36-1

© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

نظرات في الموازنة بين التفسير الموضوعي والهدايات

أ.د. توفيق العبقري[1]

(Investigating The Parallelism Between Objective Tafsir and Quranic Guidance)

Prof. Dr Tawfiq Al-Abqari

ABSTRACT

This study discusses a sensitive narrow area of (التنظير), which literally means (theorizing-based interpretation) and of unquestionable idiomatic use in respect of use, application, style and nature. The aim of this study is to investigate the applicability and authenticity of the aforementioned terminologies, have has not been studied yet. The study tries to investigate the realities of revelation by clearly demonstrating the original and core (para) linguistic roots and meanings of the goals of revelation in respect of the Quranic utterances and guidance. Adopting *a parallel-research strategy* leads to settle a controversy between two groups, which leads to strengthen the relation between those having the same opinions about an issue under investigation. This shows how great the Qur'an is in portraying *its* guidance and thus studying the Qur'an requires people to adopt Tafsir strategies i.e. reasoning, using inferences and referential presupposition and entailment. To study the aforementioned terminologies, the relation and means of these idiomatic terminologies ought to be studied consistently with the provided evidence and inference that has to follow a strong methodological approach. An authentic research is much needed to cover the meanings, functions, dissociative thoughts and interpretations of an idiomatic statement. This can thus shed light on highly implicit references and inferences of utterances, which uncovers the multifaceted layers of intended meanings and interpretations.

---

1 أستاذ القراءات والعلوم القرآنية بشعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب.

Keywords: *Objective Tafsir, Quranic Guidance, Balance, Reference And Inference And Utterance.*

ملخص

موضوع المدارسة مضطر إلى حيز ضيق من أحياز التنظير ومشاحة الاصطلاح، اقتضاه ما بين القرينين في مثارات الاستعمال ومواقعات الاشتغال من زحمة الاشتراك وملبس التداخل ولصيق الرحم؛ تأملا وتعملا لتصاريف النظر فيه أسلوبا ومطلوبا، وطبيعة ومتناولا. والمبتغى هو تحرير القول في هذين العنوانين العريضين اللذين ليس لهما في قديم المواضعة مكين استتباب مع ما يكنفهما من غياية التداخل ومتشابه التوارد في مشترك الباب، مما يلح أن يكون للدرس العلمي البَحوث فيهما فصل الكلمة: وفقا وفرقا ومتعلقا في جنب درك حقائق التنزيل، والإفضاء من ذلك إلى تصور دقيق ينضج مجتنى التأصيل ومجتبى التنزيل في قصود القرآن وشفوف هداياته. ومعلوم أن سبيل الموازنة سبيل يتفصى منه إلى محال الائتلاف ومظان الاختلاف في متعاقب المورد، وهو هنا رحاب الكتاب الكريم تثويرا لحقائقه وهاديات نصوصه، وذريعة المدارسة تستدعي في مثله ارتسام طريقة التفسير والتعليل، وركوب متين الاستدلال المحقق لتمام الاستقلال في الشخصية العلمية لكل منهما، مع التساند إلى العرض التقابلي بين المفهومين في متناول المدارسة وسبل متعلقها: إحكاما لطبيعة العلائق بين وسائليهما وغايتيهما، وتأملا في مقامهما من الدليل والمدلول، وإعمالا لنظر الموازنات في مسالك المنهج ومساقات الورود. إن إتقان العبارة الاصطلاحية وتحصيل معناها، وتحقيق مناطها وتحرير الخلاف في محملها، يقع على جادة أي بحث وفي بحبوحة متهممه، خاصة فيما ينحاز إلى مضايق الدلالة، ودون ذلك أهمية غير خافية المغنى والمغزى. ومرجو المدارسة أن تنال من رشد المتابعة ما تنتهي منه إلى قويم نظر في مسار الهدايات يثمر في إحكام التصور تنظيرا وتأصيلا، وفي ضبط التصرف عملا وتنزيلا.

كلمات دالَّة: التفسير الموضوعي، الهدايات القرآنية، الموازنة، المدلول، الملفوظ

1. مقدمة

دعيت إلى الكتب في هذا الموضوع العلمي الدقيق من لدن كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم، فاستجبت – وإن كنت على اليقين بقصور ذرعي عن مناوشة مثل هذه الموضوعات – تطلبا لهذا اللون من الدرية التفسيرية في جانبها الاصطلاحي الذي يؤسس لاستقلال المفاهيم واتضاح الرؤية في الفهم، وإثخان المدارسة لكتاب الله تعالى في أعظم غاياته، وهي دلالته ومعانيه، فعبارة الشكر تنبسط بزكي التقدير إلى كرسي الهدايات، نصبه الله هاديا إلى هداياته، وجزى القوم عليه خيرا على كافة وجوه البذل والإسهام، وشكر لهم جميل السعي، وعامر العرفان مصروف إلى من كان له جميل الاستضافة والإيواء، وكريم الاستقبال و الاحتواء لهذا الملتقى القرآني الناضر، جامعة مالايا في شخص القائمين على إدارتها وحسن تسييرها.

وتأتى للبحث على مقتضى متولاه في رسم معالم الموازنة بين كل من التفسير الموضوعي والهدايات أن تمثل مباحثه – بعد **مدخل** لسياقة موضوعه هو ذريعة الإدلاء إليه – على **مطالب ستة**، قارب كل منها ما رآه يسهم في فسر ناحية من مناحي الوفاق والفراق بين الحقيقتين؛ فكان **الأول** منها وقوفا عند دلالة العنوان في كلا المذهبين، ضرورة أن العنوان يحتجن كنه الحقائق، فكان حقيقا أن يكون المدخل الأصيل في تعرفها وتأمل بعض مثاراتها، ثم أعقبه حديث الولادة والنشاءة **مطلبا ثانيا**؛ رعيا للعنصر التاريخي واستصحابا لسؤال المشروعية بينهما، ولما كان علم التفسير هو مأرز كليهما ومجال اشتغالهما تلبث النظر ضمن **المطلب الثالث** في طبيعة علاقة كل منهما بهذا العلم الأم في آفاق تثوير الدلالة القرآنية، وخلا وجه **المطلب الرابع** لمعقد هو من أساسيات الموازنة بينهما، وهو منهج المدارسة، وحين تعاسر أخذ كل صور التفسير الموضوعي في قرن واحد، خلص النظر بعد تفادي مشترك الموازنة إلى أن يستبد **المطلب الخامس** بمتنخل القول في أمهات الائتلاف والاختلاف بين التفسير الموضوعي للسورة القرآنية والهدايات، وأن ينتهض **سادس المطالب** بأبرز وجوه الموازنة بين التفسير الموضوعي للمصطلح والهدايات، **ليختتم البحث** بما هو منه في مقام مجتبى المستخلص، ومجتنى المفتحص.

هذا، ومما يقضي به القول في منهج هذه التقدمة أنه لم تجعل البداءة بتعريف مفاتح العنوان، على ما يقتضيه المنهج في مثله؛ لما أن ذلك مما رقم في سابق الكَتْب، وأدرج من هذا البحث في عزائم مطلوبه، ووقع الاجتزاء – في معظم البحث – بلازم المعلوم وهدايته، عن سرد متنه والتكثر بنصه، مع اعتماد الحوالة على محل الدلالة عليه؛ ذهابا إلى تقصد المراد وتجنب المعاد، وقد تخذ البحث طائفة من الكتب والبحوث مما سطر في موضوعه، واجتبى من ذلك ما رآه خديما لمنتحاه، مسعفا في إثمار نوله، مع تحري نسبة القول لقائله متى تمحض له، على أنه لا بد من التنويه إلى أن «الدراسة التأصيلية للهدايات» كانت بأعين البحث موضع الاعتماد ومرجع الاعتضاد؛ لوفائها في الجمع والتفصيل، وكفايتها في كثير من أنظار التنظير والتأصيل. والله ولي التوفيق وإليه الرغبة في التسديد والتأييد.

2. مدخل في الموضوع وسياقته

نزل القرآن الكريم فانذربت الأسلات ترتل كلماته، وانطلقت العقول تَدَّبر آياته، وهوت الأفئدة تخبت لمواعظه، وهُدي الرعيل الأول من هذه الأمة إلى عزم الأمر في رعي حق تلاوة الكتاب، بما أوتي من فطرة اللسان العربي، ومعاشرة الرسول النبي صلى الله عليه وسلم، فحظي بتمام الأهلية واستأثر بكمال الخيرية، وقص الأخلاف سبيل الأسلاف، وقد وقر لديهم من سبيل هديهم في مدارسة التنزيل أنهم لا يرون حد كنه الفقاهة فيه إلا بإجرائه على وجوه الفهم وتصاريف التدبر ومحكمات الاستنباط، واستجاب لفقه الكتاب الكريم من أورثه على سنة الاصطفاء، فكانت مسيرة حافلة في تاريخ البيان المشرق لآي القرآن، جرت فيها جياد المفسرين خببا، وأرسلت فيها مسارح فكر المتدبرين قددا، وغدا علم البيان القرآني رحيب الميدان، فسيح الأرجاء، تَزَّين روضاته بآليات المعارف وذرائع العلوم، فكان علم غريب القرآن ومشكله ومعانيه وضرائبها بدائع باهرة، وفصوصا ناضرة في العقد الفريد لعلم بيان القرآن المجيد، اقترحتها قرائح أولي العقول، وأنتجتها فهوم الفحول، وعنت الدلالة القرآنية – ودلالته لا تتناهى ولا تنفد – لمختبرات من التحليل الفاحص الخبير، الذي يتعانى في رؤية ذرات الفهم التي حفت بمرادات الكتاب وقصوده، في مفرداته وجمله وأساليبه، وطرائق نظمه ورصفه،

ودندن من عالج لواعج هذه المعاني بكلمات وعبارات تنبئ عن هذه الوفرة والثراء في الدلالة القرآنية، وصرحوا حين انتقشت في أفئدتهم رسومها ومداليلها بأنّ «لكل ءاية ظهرا وبطنا، ولكل حرف حدا، ولكل حد مطلعا»، واعتبروا التقسيم نوعا من العلوم، فانقسمت بموجبه باعتبار ذواتها وصفاتها ومتعلقاتها إلى ما لا يحصى مما لا يعلمه إلا الله تعالى،[2] وحُمل هذا التصرف منهم على أنه «ضرب كبير من التأويل والتوسع»،[3] ثم مضى بالناس الزمن، بعد هذا الذي نعي على المتقدمين من هذه التفصيلات والتدقيقات، وإعلان الاستقلال لعلوم تشابكت مضامينها وتداخلت فروعها وتفاعلت فيما بينها مباحثها، ليجاهَر بالكلمة في منابر الدرس القرآني المعاصر ودفاتره أن كثيرا من المفاهيم يتعين في منهاج الاصطلاح المشاح وسنة المواضعة الصارمة أن يُسعى إلى استقلال مدلولاتها، والتجافي بها عن ملابسها ومقاربها مما يَشركها في متناولها الواحد ويَزحمها في موضوعها المشترك، فجرى التفسير ألوانا، والتأويل أفنانا، والتدبر والاستنباط والهدايات وسائل إفهام ومسائل أفهام، لا يفقه الرجل الفقه كله حتى يحيط خبرا بدقائق أوضاعها، وحقائق مفهوماتها، ويدرك في لطفٍ مناطاتِ إعمالها ومراتب تنزيلها.

ولا شك أنه مسلك حقيق بالتفهم والتقبل؛ لنزوعه إلى مأخذ منهجي ينظر إلى كثير صواب؛ وإن من تمام سداده أن يكون منه رعيُ تليدِ الاستعمال، من اصطلاح العتق من العلماء، ومحاذرة السعي في المواخذة عليه، والتهوين من رأي يؤيده أو فكر يسنده، والاعتداد بما يجعله الناظر مشتغله ومتهممه، فلا يرى الرشد إلا ما تفتق من أكمامه، والسداد إلا ماجرى على أذلاله؛ فالداعية إلى التفسير الموضوعي يرى فيه المنقذ من جمود الفهم، والمجانس للشرع في طبيعته العملية التي تواقع هموم الناس وتواكب مستجد مشاكلهم، والمتحقق بمقام المصطلح القرآني وآفاقه يرى فيه أنه هو العلم،[4] الذي تنفتح به مغاليق الفهم، ويندفع به عن

2 انظر: ابن العربي. قانون التأويل. 510 فما بعدها.

3 الزرقاني،محمد عبدالعظيم. (1383). مناهل العرفان في علوم القرآن. مصر: دار إحياء الكتب العربية، ط3، 17-16/1

4 الأنصاري، فريد. المصطلح الأصولي عند الشاطبي: 11

مساق الوحي كثير الوهم، والذي أشرب في قلبه صورة من صور إعجاز هذا الكتاب الكريم، ولتكن وحدة سوره النسقية والموضوعية لا يجد فيها إلا الوزر الأعز الأحمى في حسن الإفضاء إلى تذوقه وفهمه، والولوج إلى كتيم سره وكنين دره، **وكلهم في ذاك غير ملوم ولا آت ما يستعتب**؛ إذ القرآن الكريم لتمام كلمته، ووفرة دلالته، وهيمنة عبارته:

كالبدر من حيث التفت رأيته ** يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا[5]

فالمدعو إلى مأدبته مدعو إلى صنوف من المطاعم والمشارب أذواقها شتى، وهي جميعا آيلة إلى غاية التنعم وقاصية الاستمتاع، وهو ما ينهض في الدلالة على أن ما ابتغي سبيلا إلى فهم الكتاب الكريم من المناهج المشروعة والطرائق المعتبرة ليس يعدو المدخل المنهجي والأداة المعرفية، مهما بلغت في النباهة والوجاهة فهي تحمل في عنوانها الدلالة على تقاصرها، وأن لا غنى لها – فيما هي بسبيله من تحصيل بصائر الكتاب والوقوف عند مقاصد تنزيله – من أن تمتن جسورَ الالتقاء بين مكوناتها على سبيل التظاهر والتكامل الذي يفتح العبارة القرآنية لتثوير أهل الاستنباط، حتى تكون على الاشتمال لعلم الأولين والآخرين، ويرعاها على أقوم سبيل يصدر عن أصالة طبيعته، وتقديس منزله، ورعي صحيح مأثوره، واعتبار عربية لسانه، مع انفساح النظر في كليات شرعته وتصاريف ملته، وامتداد الأثر في حسن تنزيله على الواقع ومشكلاته ومقتضياته وملابساته؛ تقديرا لديمومة شرعته، وخلود ملته.

ولم تزل أمة القرآن الكريم على الهدي القويم ما أبدأت وأعادت النظر في مناهج قراءتها لكتابها الكريم وطرائق فهمه وسبل تدبره، ومن أهم ما ينبغي في هذه المسيرة المراجعاتية التصحيحية، أن تقرأ سوابق الجهود على مؤتلف القلوب، مهما ظن برواحل الفهم التنائي والتباعد، وألا يكفر من تأخر جهد من تقدم، علما أن سبيل التصحيح مكفول على حده، بل مدعو إليه بشرطه. وليس من شك في أن أول ما يشخص في بداءة المفاتشات هو **المسألة**

5 المتنبي. ديوان المتنبي: 111.

الاصطلاحية؛ إذ هي أبواب العلوم والمعارف، ومن أرسخ أدبيات الدخول أن تؤتى البيوت من أبوابها، وذاك ما يكفل لها حسن التقبل وكريم المقام، ومستحمد العاقبة.

ومن هنا كان سبيل هذه المدارسة سبيل ما يثافن هذه الأوضاع؛ قراءة تحاول النظر في المقاربة المنهجية بين التفسير الموضوعي والهدايات، وذلك ما انتظم في هذه المطالب المرسومة.

3. عنوان «التفسير الموضوعي» و«الهدايات» مدلولا ومشمولا وملفوظا:

3.1 عنوان «التفسير الموضوعي» في مدلوله ومشموله وملفوظه

لم تلتئم كلمة البحاث في تعيين مشموله على سواء( )، غير أن خلفهم يرتد عند التأمل إلى اعتبار معنى «الجمع» في معناه، سواء اعتبر ذلك في طول القرآن وعرضه، أو في قبس منه اندرج في نظام تسويره، أو حتى في اللفظة الفاردة في مطرد أسيقته باعتبارها اللبنة الأولى في إقامة بناء موضوعه المتماسك ورؤيته الشاملة، وهو ما يعطي الحديث المختصر عن مكونات التفسير الموضوعي في ثلاثة اتجاهات:

(1) النظر في الموضوع القرآني في القرآن بأتمه، وهذا هو الذي شرى في الإطلاق وجرى على الإصفاق بين الكتبة والدارسين، وصورته تتحقق بأن يفرغ للنظر الاستقرائي في آي الكتاب – لا على ترتيب تعبده – بحسب موضوعاته موضوعا موضوعا، نظرا يَتصير

بعد تحرير مبتحثه وتثوير متقلب معناه إلى صورة متضامة في العرض تحمل نسقا جامعا من الفحوى القرآني يستجيب دلالةَ الموضوع تنظيرا وتنزيلا.[6]

على أن هذا الضرب على ما قيل من الإجماع المبدئي على صورته العامة، لم تخل ساحته من نوع خلف في مشروعية بعض صوره؛ فبعضهم قسمه من جهة متعلق معناه وغايته إلى: عام وخاص، وباعتبار حيز مادته إلى: وجيز وبسيط ووسيط[7]، وأدخل فيه – على خلف نظر – مالم يتكلم فيه وإنما تكلم به، كالقسم وأسباب النزول والمكي والناسخ، مع أنها ليست موضوعاته ولا أساليب له لكنها في أحواله.[8]

(2) اعتبار الوحدة الموضوعية في السورة الواحدة منه – خاصة ما أودع تعدد الموضوع وتنوع المتناول – اعتبارا بهذا التوحد المضموني وكلي المتناول الموضوعي في خصوص السورة، وإن بدا في طولها تنوع انشغال وتعدد اشتمال؛ وقد بدا الصغو إلى إدراج هذا اللون ضمن التفسير الموضوعي عند الكثيرين.[9]

(3) على أن هذا المفهوم اتسع مدى مدلوله عند البعض ليمثل ثالوثا معرفيا تلتئم جنباته في إقامة بنيان التفسير الموضوعي في غير ما مناكدة أو مشاكسة، فأضيف إلى العنصرين السالفين مكون المصطلح القرآني، يتحرى في تجميع متصرفاته في كافة متقلباته في الأسيقة القرآنية، ليستقطر من خلال درس معجمه ونصوصه ومفهوماتها مادة، يجتمع لديها من المفسر ما يستجيب لفكرة الموضوعي ومقاصده.

---

6 وهو تعبير يحاول الجمع بين الكيان المفهومي والخاصية المنهجية للتفسير الموضوعي بحسب ما استفيد من المكتوب في تعريفه مثل: التفسير، نشأته _ تدرجه _ تطوره لأمين الخولي:83 _84، ومباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم ص 16، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح الدين الخالدي ص 34 فما بعدها.

7 فتح الله سعيد. المدخل إلى التفسير الموضوعي: 24 – 27.

8 جعفر، عبد الغفور محمود مصطفى. (2007). التفسير والمفسرون. ص555.

9 رشواني، سامر عبدالرحمن. (2009). منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص244.

على أنه سرعان ما بدأت المراغمة على ضرورة اعتبار التناسب في مساق التناول لسور القرآن ضمن هذا الضرب الموضوعي: استهلالا ومختتما وإحكام علاقة بين السورة المفسرة قبلا وبعدا.[10]

ولئن حظي النوع الأول بمباركة مضمنه وتصديق مستطره، وكونه على التبادر الإطلاقي عند رواد هذا اللون من الباحثين فيه، فإن الثاني مستثنى من هذا الوسم، إذ رئي فيه الانحسار الواضح عن شمول النظرة الكلية للموضوع القرآني الذي يسعى التفسير الموضوعي لإبرازه والتعني باستقرائه ودرسه. وحسْب تناول السورة الواحدة – اعتبارا بوحدة موضوعها – أن تكون مهادا ووطاء لدرس أعم، يكون فيه الموضوع آخذا سبيله من الشمول والاستيعاب لكافة الموارد القرآنية، كما أن غاية التفسير الموضوعي في الاحتفاء بالهداية القرآنية لا ترى على الوجه الوضاح في مذهب من تناول الوحدة الموضوعية، حين تستتر وراء سعيه الحثيث لإقامة البينة على وحدتها وتماسكها قبل أي شيء آخر، وسواء فرق في هذا السياق بين الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة أو الموضوع الواحد المتفرق في السورة الواحدة، فالرأي عند هؤلاء أن لا يرحب مثل هذه الممارسة ضمن عنوان التفسير الموضوعي؛ لما سلف من الاعتبار.

وأما المصطلح القرآني، فإنه إذا أخذ على مراد المفهوم ومتعلقاته ومثاراته من خلال سياقاته، وطريقة استنباط دلالاته، والانتهاء من ذلك إلى صورة كلية لذلك المفهوم، فهو يخرج والتفسير الموضوعي من مشكاة واحدة.

وأما إذا كان القصد هو خصوص الدلالة المعجمية، أو تتبع المفردة القرآنية في استعمالاتها فهذا يختلف مع التفسير الموضوعي منهجا وهدفا، حيث يفترض بناء تصور وإبراز موقف من قضية ما.

أما علم المناسبات، فلا ريبة تلحقه في وثاقة صلته بالتفسير الموضوعي للسورة، وبقدر تقبل هذا الأخير ضمن مشتملات التفسير الموضوعي العام، بقدر ما يجد علم المناسبات

10 مصطفى مسلم. (2000). مباحث في التفسير الموضوعي 57.

خلاقه في هذا النسب؛ مع العلم أنه في ذاته علم جليل حقيق أن يتواصى به في كل ضرب من ضروب التفسير وألوانه.

والقصد أن يفضى إلى القول بأن التفسير الموضوعي لقي في سياق تطور النظرة إليه من التفاوت والتدابر وعدم الوضوح في أنواعه ومشتملات درسه هذا الذي عرض مجملا بعضه. وهو ما صوره شتيتا من الاهتمامات تذهب بريح مكنته فيما جعل له من تجلية الحقائق القرآنية متكاملة الأطراف مستجمعة العناصر، واضحة النسق، مستبينة المعالم، متماسكة البناء.

وقد رأى البحث طلبا لتعميم الموازنة وبصرا بمستويات الموافقة والمفارقة أن يجري على قاصية المشمول، على أن يأخذ الأول منه صدر الأمر، لأصالته والاتفاق عليه، ويرتدف عليه تالياه، على سبيل الإلمام القاصد، الذي يرعى إعلان الفرادة، وعدم تكرار المندرج، والمجاهرة بمحال المتفق ومظان المفترق.

● لفظ «الموضوعي» في بعض مثاراته:

أبديت بخصوص هذه التسمية وجوه تحوط وتوجس، منها[11]:

1 – لوحظ وجود الشركة لهذا الإطلاق مع معنى التجرد والحياد، وهو معنى وإن كان مطلوبا في شرطه، فليس مرادا بالأصالة في تسميته، وهذا الاشتباه عائد على مصطلحه بنوع ضعف في عدم تعين مدلوله؛ مما هو من أصيل قصود المصطلح.

2 – ولمح بعضهم في إطلاقها معنى الدون والحط المفهوم من مجاري دلالتها اللغوية.

11 انظر: الرشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية ص27، وعبدالستار فتح الله سعيد. المدخل إلى التفسير الموضوعي ص 21، ومساعد الطيار، «التفسير الموضوعي: وجهة نظر أخرى»، الموقع الإلكتروني الرسمي، وبازمول، محمد بن عمر.تحرير التفسير الموضوعي. ص31.

3 – كما وقع التساؤل في دقة اصطلاحها؛ لأن نسبة الموضوعي ليست وصفا للتفسير، بل هي نسبة إلى مادة التفسير.

4 – ولوحظ، بحكم أنه لا يلج إلى جسم المعنى ولا يؤثر في الدلالة القرآنية بالإضافة المباشرة، أن حقيقة التفسير لا تقع عليه، واقترح أن يسمى بديلا عن ذلك: «الموضوع القرآني».

2.3. عنوان «الهدايات»: ملفوظا ومدلولا ومشمولا

لم يكن حظ الهدايات من الخلاف في ملفوظها ومدلولها ومشمولها على وفق ما قسم للتفسير الموضوعي؛ فكان متبرئا إلى حد ما من غلواء هذا التضارب الاصطلاحي مدلولا ومشمولا. ربما لأنها لما تصقل مباحثها في محاريب الدرس والمطارحة؛ فلم تتكاثر مولوداتها ولم تتناسل مشتملات النظر تحتها، وجرى تسميتها على ملتفظ قرآني أصيل، لم يزاحم بغيره من مقاربه كالمقاصد والدلالات والفوائد، وما جرى منه في قديم الاستعمال، كان في الأغلب على التصرف الفعلي الإجرائي لا على التوصيف اللقبي.

على أن ههنا دلالات ومثارات في ناحية ملتفظها ومعناها يجدر الإلمام ببعضها:

(1) فإن مما قد يثار في تعريف الهدايات أنه أجري على المطلوب الاسمي، أي ماهية المادة المدروسة وموضوعها، وإن شئت فقل: إنك أمام موضوع تأصيلي للفظة «الهداية» ومشتقاتها ودلالاتها وقضاياها ومتعلقاتها في القرآن الكريم، ولك أن تعتبر أنها مادة مرجعية أصيلة يهدى بها كل من أراد الهدايات على سبيل المعرفة الخبيرة والاطلاع العليم. والحال أن الحاجة مازالت قائمة – إلى جليل ما قدم – في الذهاب بالمعرف مذهب الدلالة على الجانب الصناعي في هذا الاصطلاح؛ أي المنهج أو العلم الذي يوكل إليه سبيل جمع هذه الهدايات وتأطيرها، وضبط مسالكها والقيام على شؤونها: استقراء وتبحثا

واقتراء وعرضا؛ وعلى الرغم من أن الدراسة عنونت بـ«الهدايات القرآنية» مجردة من كل مضاف، فقد نطقت بعض أنحائها بأنها «علم»، فكان «علم الهدايات»[12].

ومعلوم أن العلم في العرف الصناعي له مقومات ومكونات، لم ينح منهج الدراسة منحى الدلالة عليه والإبانة عنه، إلا إذا أريدت العبارة بالعلم عن المعلوم؛ فتكون الهدايات كما قيل عبارة عن: « الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر».[13]

والحق أننا أمام اصطلاح خاص يراد له التمكين، ومعنى صناعي معين يُرى أنه يناظر نظراءه، ويزاحم أنداده في التنافس على تثوير دلالات الكتاب الكريم، على وجه يقع الإنباء منها على خصوص مراشد القرآن، وتوجيهاته الهادية، ومقاصده المنيفة دون سواها، مما يراه متقاصرا عن مطاولة جوزائها، وحسْبه أن يبتغي الوسيلة إليها، فلا ينبغي – بحسب منطق الهدايات – أن يتجاوز به حد الوسائل إلى أن يتبوأ بحبوحة المسائل والموضوعات الجلائل، مهما كانت إفادته وارتقت إجادته، فأجدِرْ بهذا الاصطلاح إذًا، وهو على هذا الخطر الجسيم والمقام الجليل، من أن يحتفل به، وينضبط القول في تحرير مصطلحه، وتحديد مفهومه، ولعل مرد عدم الجنوح بالمصطلح إلى هذا الصوب عند أصحاب الدراسة هو اعتبارهم أن الهدايات هي غاية، وأن المنهج ليس هدفا في ذاته، وإنما هو وسيلة لتحقيق الغاية، وإن كان نفس الأمر وواقع مجرياته في الدراسة يغالب هذا التقدير، ولست أرى بدعا ولا بعدا بعدما جرت الألقاب على الممارسات العلمية في متوسلها الآلي أن يقترح توصيف المناهج بألقاب هي ألصق ما تكون بغاياتها ومقاصدها؛ ليُتفقد بعد ذلك من السبل ما هو أهدى لتحقيقها، ولربما التمست المحاولة في مقاربة فسره على مشرع التعريف ــ على هدي هذا القيل ــ أن يقال:

12 طه عابدين وأخرون. الهدايات القرآنية 54/1 و58 وغيرهما.

13 المصدر السابق، 44/1.

«الهدايات هي: مرتسم تفسيري ومسلك تدبري وسبيل استنباطي، يعمد فيه بشرطه إلى قفو إرشادات التنزيل، ودرسها من خلال لوازم دلالات آيه، بما يتحقق به أصيل مقصده من الإنزال».

وتقع الهدايات بهذه الوجهة والتفسير الموضوعي على مشترك القصد في كونهما معا يطلبان الدلالة القرآنية على وجه يلح في استحلاب درها واستجلاب دررها، وإن اختلفا في السبيل إلى ذلك.

(2) مفهوم الهدايات يخبر أن قبلتها هي ثمرات المعاني وتفرعات الدلالات، وهو ما يثير التساؤل في ظاهر عنوانها عن مدى انطباق الهدايات على أصول الدلالات؛ فالأمر بإقامة الصلاة من أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا [الإسراء: 78] لا يشك أحد أنه من صلب الهداية ومعقد قوامها، ولكنها في اصطلاح الهدايات غير مرادة، بما يشعر بانتفاء وسم الهداية عنها، والأمر اصطلاح، ولكنه لحظ يأتي في سياق تداعيات العنوان ومثاراته فقط[14].

(3) صوغ الجمع في «الهدايات» قد يوحي مبناه بانتحائه سبيل الاستقراء، وابتغائه وجه الإحصاء لكل أفراد الهداية وألوانها مهما اختلفت مراتبها وأنماطها، ما دام لها في وسم الرشد والإرشاد قسم ونصيب، وهو ملحظ لا يوحي به عنوان التفسير الموضوعي، وإن كان ثابتا في شرطه ومنهج العمل فيه.

(4) يجد المقترئ للدراسة التأصيلية أن الحديث عن الهدايات هو حديث آيل إلى القرآن الكريم كله، أو إلى الشريعة برمتها، والحديث عن خصائص الهداية من ربانية وشمولية وتمام ويسر وخلود، يعطي كفاية الدليل على ذلك، [15] والحال أن المطلوب هو حديث عن منهج تنظيري، يبتغي ترشيد النظر في الإفادة من معاني القرآن وتحقيق الغاية من إنزاله.

---

14) وقد صرح الزرقاني في هذا المقام أن من الهدايات القرآنية الكريمة ما استفيد من معاني القرءان الأصلية، ومنها ما استفيد من معانيها التابعة. ن مناهل العرفان 338/2.

15) انظر، طه عابدين، الهدايات: المبحث الثالث 101/2.

(5) واستصحابا للاعتبار السابق يهجم الانطباع على المتتبع أن هذا الإطلاق تفوح منه رائحة التزكية، والإشعار بإلزام ما يقع تحت طوله من المباحث، وكأنه بهذا الوصف «الهدايات» موهم أن شيمتها الصواب على الإطلاق، وأن قدم الناظر فيها لا تثبت إلا على ظهر التسليم بها والاستسلام لها، وأن لا مجال لتعقب «الهدايات» والاستدراك عليها، طالما كانت هي لسان القرآن المبين، ومرآته الناصعة، وأنها بذلك محوطة بقدسية الخطاب، وقطعية الدلالة، وإلزامية المضمون، ولعمري إنها لكذلك باعتبارها قرآنا يتلى، وأما بالنظر إليها عملا تدبريا استنباطيا تستدعى لها آليات النظر، وتصوب إليها أسنة البحث في معترك الأنظار ومضايق الافتكار، فمأخذ هذه الظنة فيها مدفوع بشيئين:

أ. قد تتزاحم محامل الهدايات في معرض الآية الواحدة فتجري على ميزان التعارض والترجيح؛ صحيح أن المفضولية والمرجوحية قد لا تذهب بسيماء الهداية في أصلها؛ إذ هي مراتب ومنازل في الخيرية والفضل، والتفاضل في مثله مألوف معهود، إنما يحاذر ههنا من إلباس ما جرى على هذا الوجه لبوس القطع على معينه والإلزام بمبينه.

ب. اللهج بالقول بأنها صنيعة بشرية مؤيدة بمكنة اجتهادية وقريحة تدبرية، وما كان على هذا الحد من المنتسب فقمن أن يأوي – فيما عدا إشراقاته وتسديداته إلى ركن التقاصر والخطأ والذهول، مما هو في الإنسان جبلة وفطرة[16].

ويعرى لفظ التفسير الموضوعي عن هذا الإيهام، بل يكاد ينبئ عن مقابله حين يفهم على أنه ذهاب في صوب الموضوعية التي تعني مكابدة التجرد، ومغالبة الهوى في تبين مواطن الهدى.

4. بين «التفسير الموضوعي» و«الهدايات» في تاريخ النشاءة

16 المصدر السابق، 41/1.

أ. التفسير الموضوعي مصطلح طارف ومفهوم تليد: أما طرافته في مجاري الإطلاق فمحل اتفاق، وأما قدمته في تداول معناه واستعمال مؤداه ففرق بين الناس[17]؛ منهم من استصحب لذلك أنه صورة من تفسير القرآن بالقرآن، وعليه فسيرته الأولى متنشئة عن العهد النبوي الشريف، واستظهر من جرى على هذا السنن أن هذا الضرب من الانتهاج ربما أمكن البصر به – في سياق تاريخه – في ذلك المد التأليفي الذي عني بطائفة من موضوعات القرآن وضروبه المختلفة، كأحكامه، ووجوهه، ونظائره، وأمثاله، وأقسامه، وغريب ألفاظه.

وأبى هذا النحو من الاستدلال من رأى أن هذا المذهب التفسيري من مبتكرات العصر ومستجد مفتكراته، وأن ما سيق للاستدلال على عتاقته لا ينتج المطلوب؛ لغياب المنهج التحليلي فيه وانحسار غايته دون مرتام التفسير الموضوعي في الانتهاء إلى الرؤية القرآنية المتكاملة في الموضوع المتدارس.

وليس يبعد في حسن التقدير أن يعتبر أن ما استدل به الأولون كاف في الدلالة على جرثومة هذا الضرب وأوليته، ولو في صورته الشكلية المنهجية، وأن ليس من شرط الأوليات ولا من وصفها أن تتمادى في استيفاء شرائط موضوعاتها، والإفضاء بها إلى أغيا مآلاتها، و الصيرورة بها إلى تمام تشخصاتها كما انتهت إليه في متعاقب الأزمان. وانبعاثُ الهمم إلى التعني بالتفسير الموضوعي للسورة الواحدة والمصطلح القرآني في صيغهما المنهجية المتداولة هو أيضا من تداعيات الأعصر المتأخرة، وإن كان لا يعدم له من سابق الجهد وقديم التعاطي أصلا ومحتدا، [18] بل لعل الكتب المنهجي في التفسير الموضوعي للسورة الواحدة قد عرف الإسهام البين فاق به ما يفترض أنه وليد منه وهو التفسير الموضوعي العام، فضلا عن صورته المصطلحية.[19]

17 انظر: رشواني، منهج التفسير الموضوعي، ص 74 فما بعدها.

18 انظر: مصطفى مسلم.مباحث في التفسير الموضوعي ص 28، والخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص 56.

19 انظر: بشير عثمان، مادة التفسير الموضوعي، ص 42 فما بعدها.

ب. أما الهدايات فالرجوع بها إلى مواطنها الأولى ومنازلها القديمة لا يلفى بذي كلفة أو كثير تعمل، فالبيان النبوي هو الإمام في تمثل الهدايات وترسمها، ومنه يتحصل مجتباها ونقايتها، وإليه منتهى مآلها ومطمح غايتها؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن[20]، وجوامع كلمه في بيان مقاصد التنزيل خزائن هدايات وبصائر كمالات، كما أن مُثُل الهدايات في منتجب التأويل عند أعلام المفسرين من علية الصحب كابن عباس رضي الله عنهما معروفة، وسير السلف في التحقق بالهدايات أيضا مبثوثة في مظانها، وهي غانية بدلالتها عن سوقها وشرح معنياتها[21].

أما في المسيرة التصنيفية، فليس يشك أن الهدايات كانت من مقارفات أهل العلم بالتفسير ومقارباتهم في دواوينهم التفسيرية، على تفاوت بينهم في تناولها والتنصيص عليها، ربما غلب على الكثيرين منهم إيرادها على سبيل العرض التبعي دون الغرض الأصلي، على أن القول العام المجمل بأن تفسير السلف كان وقافا عند معاني الألفاظ وخلاصة المعنى التركيبي المستفاد من الجملة القرآنية ليس يخلو من نظر، بقصره أنظار السبق على كثرتها وتنوعها عن حقيقة الاستبصار بهدايات الكتاب، وإن خففت غلواء هذا القول ما قيل بعد من أنها جاءت على التناثر غير آخذة سبيل القصد المبرز للمعالم الموضح للخصوصيات[22]، وأقول: المطلوب هو حضورها نوع حضور ودخولها في المشمول، وذلك متحقق ولو على أدنى صورة، ولذا احترز البحث في مساق التفريق، فتارة يقول غالبا بعد نفي القصدية وعدم التبسط وعدم الاستبداد بالتأليف.

على أن إحداد النظر إلى الهدايات على سبيل التنبيه عليها والدعوة إليها، باعتبارها من أهم مقاصد التفسير، التي يتعين أن تكون من المفسر على غاية الاعتناء وقاصية الاحتفاء، ربما بدت دلائله بينة ظاهرة لدى بعض أهل التفسير ومدارسه، وربما كانت **مدرسة المنار** في

20 ابن حنبل، مسند أحمد، 41/ 148 حديث رقم 24601.

21 انظر: طه عابدين، الهدايات المبحث الأول من الفصل الرابع، 460/2.

22 انظر المصدر السابق، 53/1.

الأعصر المتأخرة صاحبة الإسهام الظاهر في الحدب على هذه الفكرة واستحثاث الناس عليها؛ إذ كانت على كثير لهج وعظيم اهتبال عند الأستاذ الشيخ محمد عبده«1322هـ/1905م»، وتلامذته: كرشيد رضا «1354هـ/ 1935م»، وأصابتها المدرسة البيانية بذوقها الأدبي عند أمين الخولي «1386 هـ/ 1966م» وتلامذته، ووجدت لها الصدى الطيب لدى مشيخة الأزهر كالشيوخ: محمد عبد الله دراز « 1377 هـ/ 1958م»، ومحمد عبد العظيم الزرقاني «1367 هـ/ 1948م»، ومحمد الصادق عرجون«1400هـ/ 1981م» وغيرهم، كما عرفت صياغتها على سداد تصور ووفر تصرف عند كبار المفسرين المعاصرين كالشيخ عبد الرحمن بن بن ناصر السعدي «1376 هـ/ 1956م»، والعلامة محمد الطاهر بن عاشور«1393 هـ/1973م»، والشيخ محمد بن صالح العثيمين «1422هـ/ 2001م»، والشيخ أبي بكر الجزائري «1439هـ/ 2018م»، رحم الله الجميع.

5. «التفسير الموضوعي» و«الهدايات» في علاقتهما بالتفسير

والحديث في ضبط هذه العلاقة مرتهن بماهية التفسير الذي جرى الاصطلاح العلمي القديم – في عظم الاختيار – على تبسط دلالته ليشمل ظواهر المعاني ومستفاداتها في أحكامها المستنبطة وحكمها المستبطنة، أي أنه شامل لأصول المعاني ومستتبعاتها. وذاك عرف مستتب عند جماهير المستقدمين، ومصاديقه في مؤلفاتهم مسفرة جاهرة.[23]

وجرى في كثير من مختار الدرس التفسيري المعاصر الوقوف بحدود هذا العلم عند بيان معاني الآي في أصول دلالتها، دون ما يترتب عنها من معاني المعاني ومستتبع الدلالات.[24]

23 انظر: الكافيجي،التيسير في قواعد علم التفسير ص 124 فما بعده، والزركشي، البرهان 13/1.

24 انظر: طه عابدين، الهدايات، 52/1 و53.

وإذا كانت وجاهة هذا الانتحاء تأتي من الحرص على رسم حدود الحقائق ومستبدات المواهي درءا للاختلاط في مداليلها، فإن البحث يرى أن هذا لا يناكده الإطلاق الأول، مع إمكان جعل ذلك على سبيل التفرع من علم التفسير، فيكون مستوى بديعا من مستويات البيان في متناوله، ومقاما رفيعا من مقامات الفسر في درسه؛ **إذ ليس من شرط تمايز الحقائق انفصالها المبتوت عن أمهاتها**، وما من بأس في أن تتحقق لها شخصية الدلالة مقطوعة عن ملابس الاشتراك، في غير ما إلجاء إلى خروجها عن أصولها، وجعل مشتقاتها نديدا لمصادرها فيما يشبه التنكر لها، خاصة في علم قيل في وصفه الحقيق هو: «رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها[25]». ولعل في هذا رجعى الذكر بمعهود القول في خلافهم بين مدلولي التفسير والتأويل؛ ائتلافا واختلافا، وعموما وخصوصا. ويذهب في ناحية تأييد هذا المنحى أن قد مضى الاصطلاح القديم والحديث على اعتبار البيان النبوي تفسيرا، وهو يستكنه آفاقا من التدبر، ويعرض للآية أحيانا بما لا يقف بها عند حدود معاني ملتفظاتها، بما يمكن اعتباره لطائف دلالات وبطائن معان ودقائق هدايات[26]، ويستقيم مع هذا المطلوب أيضا ذلك التقسيم الرباعي المأثور عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للمادة التفسيرية.[27]

5.1 التفسير الموضوعي في علاقته بعلم التفسير

أول ما يعطيه بادي النظر أن هذا التوصيف التركيبي يعالن بالانتساب للتفسير، وأنه ضرب من ضروبه، وطريق من طرائقه، وأبى بعض فضلاء الدارسين أن يكون هذا النحو نمطا من التفسير أو شجنة منه؛ لما أنه لا يفسر معنى ولا يكشف مضمونا، وقصاراه أنه عرض وطريقة إدلاء بحقائق تفسيرية، هو فيها عالة على منصوص التفسير الترتيبي،[28] وهو **نظر له اعتباره**،

25 الشيرازي، أنوار التنزيل ص2.

26 يمكن الرجوع إلى أمثلة من ذلك في التفسير والمفسرون لعبد الغفور مجمود ضمن فصله الثالث «تأملات في التفسير النبوي» خاصة: 416 و430.

27 الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، 101/1.

28 الطيار، «التفسير الموضوعي: وجهة نظر أخرى»، الموقع الإلكتروني الرسمي.

غير أن البحث لا يراه بالغا مبلغه في إسقاط وسم الانتساب عن هذا اللون من البيان من كل وجه؛ وذلك لوجوه منها:

(1) إنه نظر مباشر إلى مضمون الدرس التفسيري، واحتكام إلى خصوص ثمرة ممارسته ونتيجة درسه على مستوى الإضافة في دلالته، وهذا لا يدفع امتداد النظر واتساع العبارة بوجه آخر من وجوه الاعتبار الإجرائية في إقامة بناء الدرس التفسيري، ولْيكن جهةَ منهجه وطريقة عرضه، أوَليس للمنهج حظ من مادته وهو الذي سبر غورها وذلل وعثاءها وكشف خبيئتها، وخدم ناحية عرضها، حتى يبخل عليه أن يظهر في شعارها وعنوانها؟ على أن ما يتحصل لمقتفي التفسير الموضوعي من خلال اقترائه الواسع وتدبره الغائر تفاعلا مع الآي، واستلهاما من أوضاعها، وإفادة من بصائرها، واستكناها لأنساقها الموضوعية من مواضعها حتى يستوي وضعا سويا من تمام العرض وترتيبه ، يصعب أن لا يرى له من كل ذلك وجه من الاعتزاء إلى الممارسة التفسيرية؛ لما أنه قد يسهم في الكشف عن دلالة تعزب، أو ملمح يشف، أو ملحظ يدق.

(2) وإذا كان يَنَظَّر للتفسير الموضوعي بتفسير القرآن بالقرآن، ويُنْظر إلى هذا الذي يرتسم أعلى طرق التفسير حجية بأنه آخذ من التفسير مهلة نظر واجتهاد، لمجرد أنه يبصر مواطن الإجمال فيحمل عليها مبيناتها، ومحال الإبهام فينشد لها معيناتها، وهو في كل ذلك لم يزل مرتاعا في رياض التفسير، فألّا يجرى بنظيره هذا الذي ينظر في القرآن كله على سبيل الاستبصار بآي موضوعه في سائر تصاريفها وتقلباتها الدلالية والسياقية، يبدو سلوكا غير متبرئ من أثارة التحكم.

(3) أنه مضى تصرف المفسرين على إدراجه في مدوناتهم ضمن طرائق ثلاث، أوردها ابن عاشور في مقدمته الرابعة من التحرير[29]، وشيء جرت عليه القدماء وأحكمته تصاريفهم ليس يخلو من اعتبار، يتأيد به مثل هذا المقام، والمقام هنا مفروض في نشدان

29 ابن عاشور، التحرير والتنوير 42/1 فما بعدها.

الدلالة القرآنية في مراتبها المتفاوتة، خاصة ما كان منها من أمارات المراد الإلهي ودلائله، ولو من مكان بعيد.

(4) ثم إن الانتساب والإضافة مألوف أن يقعا لأدنى مناسبة وملابسة[30]، فما الظن والملابسة مواقعة، ولو على مستوى منهجي – كما سبق – وعرض تبليغي يمتاح من مادته.

ومؤدى القول أن هذا اللون من التفسير لا يستراب – شأنه شأن غيره – من إلحاقه برحاب علم التفسير، على أنه منتهج ناهض في تأدية مادته وطريق مهيع في الإفادة عن مفاداته.

5.2 بين الهدايات وعلم التفسير

جنحت الدراسة التأصيلية للهدايات بمقتضى ترجيحها لتعريف علم التفسير في الذهاب به إلى قصره على بيان معاني القرآن الكريم[31]، وتقصد بها المعاني الأصول، إلى التفريق بين الهدايات والتفسير، مع الإقرار بتوثق العلاقة بينهما، ويمكن تلخيص مآخذ الفروق بينهما بحسبها في:

(1) التفسير بيان المعنى، والهدايات مستفادات المعنى رشدا ودلالة.

(2) من جهة وسيلة التعاطي وإجراءاته العملية؛ فالتفسير: له طرقه المعلومة في التبين والإفادة: مأثور نقل، وعربية لسان، وتعمل نظر، والهدايات: سبيلها التفكر والتدبر وإعمال نظر في متأول المعاني ومقاصدها ولوازم مداليلها.

(3) مكنة المفسر ومهارته تكمن في كيفية ارتسامه للنهج التفسيري؛ التزاما بالمأثور وترجيحا بين مؤدياته ومقتضياته، بينما المنشغل بالهدايات يشف مقامه كلما أسعفه الفلاح في أن يستخلص من بين فرث ودم المعاني

30 انظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، باب الإضافة 156/1.

31 مع العلم أن الدراسة تصرح بأن الهدايات والاستنباط كلاهما من علوم التفسير: 58/1.

بصائر فوائد، ودقائق لطائف وعيون هدايات تجري على مأتي الظاهر ومنقاد الباطن.

(4) التفسير مقدمة متعينة للإفضاء إلى الهدايات؛ فهو منها على سبيل التوسل، وهي منه على مؤمل الغاية.

(5) علم التفسير مستبين المعالم، مترسخ الضوابط، ثابت الأصول، وهو ما لا يستطاع أن يدعى للهدايات في صورتها المنهجية الوليدة التي تطلب سواء التصوير وتمام التنظير، واستكمال أدوات التدبير والتفكير.

(6) شساعة المادة التفسيرية واتساع مكتوبها بالنظر إلى محتويات مطلوبها، والهدايات نزاعة بطبعها إلى إلقاء دررها وعرض مستخلص أنظارها على أدنى وجه يتأدى به فرض بلاغها، وذلك منحاز في غالب الأمر إلى انتحاء سمت التخليص والتلخيص.

تلك مباني فروق لا يخطئ النظر مستحمد بذلها في مثل هذا السبيل العلمي الذي يطلب الدقة البالغة، والتحرير المتناهي، والبيان الضافي، ومهما قيل في وجاهتها أو كلفتها في بعض متولاها، فمن وراء ذلك أن الأمر قريب بعضه من بعض، وأن عماد الأمر متوقف على تحرير مفهوم «البيان» ومحمله، وتقدير أبعاد «المعنى» ومراتبه، ومن ثم النظر في سعة علم التفسير وحدود مشموله؛ ليصح حمل النسبة بعد ذلك عليه، ويمتد أو ينحسر بذلك حبل الصلة إليه، وما بعد ذلك مما يتناسل من مفردات الوفاق والخلاف فيما ذكر فمرجوع إلى تحقيق النظر فيه بذاته.

وفي اعتبار البحث أن علم التفسير بمقامه العلمي الوسيع الرفيع يرحب بالدلالة القرآنية في كافة مستوياتها الأصلية والتبعية، وكلاهما على متين الانتساب إليه، وإذا شئنا أن

نفصل – إجرائيا – فيه بين مقام المعاني الأصول وما يخرج منها من معاني المعاني[32] وأفضالها تحت عنوان « الهدايات»، فنعما هذا التشريح العلمي للعملية التفسيرية من الناحية النظرية، مع العلم أن المواقعة التنزيلية تجأر بتصعب الفصل بين المستويين في أتون الممارسة، ويحصل التداخل الشديد في بعض فصولها؛ إعمالا لوازع النظر في كليهما، واستحضارا لأهلية الناظر فيهما.. وهو أمر تترجمه عبارة «غالبا» التي يدلى بها في «الدراسة التأصيلية» بين الفينة والأخرى في مساق التدليل على هذا المطلب والإقناع به.

إن الهدايات في اصطلاح البحث تعتبر جزءا أصيلا من علم التفسير، وشعبة وثيقة من شعبه، بيد أن لها شفوفا وتميزا في أنها تقع منه على ثمرات المعاني ومغاني الأنظار ودقائق المستنبط وغائر الدلالات.

وأما على اصطلاح الدراسة، فتتعاظم فرادتها في الاستئثار بخصوصيات المعاني، إلى حد يؤز بالمناداة باستقلالها حقيقة بارزة منفصلة عن علم التفسير، تبدأ من حيث توقف، متوقفة عليه، ومتوسلة به، ومفيدة من درسه.

وفذلكة القول في موضوع هذه القرابة: أن كلا من التفسير الموضوعي والهدايات لهما نسب أصيل إلى التفسير، هو به أمّ وهما له وُلد؛ غير أن كل واحد منهما يدلي إليه بحسب التصرف في مادته؛ أما التفسير الموضوعي فبمنهجيته الفذة في عرض مضمونه الكلي ونظامه الجامع، وأما الهدايات فبنفاذ تدبرها، وطرافة نظرها الذي يتبطن الدلالات التبعية، ويغوص في أفضال المعاني الأصلية في مواقع وجوداتها المصحفية.

6. منهج المدارسة بين «التفسير الموضوعي» و«الهدايات»

32 «تعني بـ«المعنى» : المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واصلة، وبـ «معنى المعنى»: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»، دلائل الإعجاز 263.

المقصود ب«المنهج»، كما هو واضح: «جملة الطرق والأساليب التي يتوصل بها إلى نتائج معينة»[33].

ومنهج التفسير: هو «الطريق المؤدي إلى الكشف عن معاني القرآن الكريم، وهو مقارنة بعض القرآن ببعض، والنظر في السنة وأقوال الصحابة والتابعين، واستخدام القواعد الشرعية والعربية الموصلة إلى كشف المطلوب، واستخدام علوم الفلسفة والطبيعة والطب – ونحوها – المؤدية إلى التوسع في فهم القرآن مضافا إلى ما سبقه من فهم وتفسير، واستخدام الفكر المستقيم».[34]

على هدي هذه المقاربة في تصور المنهج، تجري عبارة الموازنة بين التفسير الموضوعي والهدايات، من خلال مفردات الوفاق والفراق، على أنه لا بد من التصدير بما هو منهما على سبيل المشترك المنهجي البين، معتقبا بما هو فرق أصيل جوهري بينهما من الناحية المنهجية فنقول:

(1) لا يختلفان في أن المفسر والناظر في الهدايات يتعين في حقهما أن يكونا على الاقتدار المعرفي المكين، والأهلية البالغة، والمكنة الراسخة في علوم الشريعة والعربية، كما سطروه في شروط التعاطي لصنعة التفسير؛ ذلك أن لهما مدخلا معتبرا في الفهم والفسر والاستنباط، فإن هذا الذي يتعاطى النظر في الكتاب الكريم لن يعدو قدره في فهم النص، ولن يرى النص من قبل ومن بعد إلا خاضعا لقدراته، متأثرا بأنفاسه، مستجيبا لخصوص صنعته وموهبته، فلا غرو أن تتعدد لذلك المناهج وتتنوع الطرائق في الدرس التفسيري عبر مسيرته التاريخية.

(2) لا شك أن لكليهما قواعد وضوابط ترعى سداد سيره، وترشد النظر في مسالكه، وتبتلي صدقه وزيفه، ويشتركان في معظمها؛ فكلاهما يلتزم ما يلزم من طرق التفسير

33 طه عبدالرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ص 86.

34 جعفر، التفسير والمفسرون ص341.

المعتبرة؛ إنابة إلى البيان القرآني العليم، واستماعا خاشعا إلى التبيين النبوي الأمين، واعتبارا لمأثور الصحبة الأثير، وتوسلا بمقتضيات اللسان العربي المبين، واستعانة بمباحث علوم التنزيل، كما أن من محكم منهجهما الأوب إلى مصادر الكتب الأولى والآخرة، ولا يستنكف الإفادة من التركة الزاخرة للعطاء التفسيري في كافة مراحله التاريخية. وليس يشاغب على بعض مفردات هذا الأمر اشتراط بعضهم عدمَ الرجوع إلى السنة فيما استقلت به عن التناول القرآني[35]؛ إذ هو شرط بالغ مبلغه من عدم الاعتبار في المنطق السديد للتفسير الموضوعي فضلا عن الهدايات.

على أن من بين مشترك الوفاق في مفردات التعاطي بين التفسير الموضوعي والهدايات طائفة من العناصر، لعله يسعف تجليتها هذا المقول:

ينبغي للمفسر الموضوعي أن يكون له إيجاف وإيضاع في حلبات المطالعة فيما كتب في موضوعه، وأخذ ظواهر الآيات وبطائنها على مكنة الاستيعاب ومراد الاستيفاء، كذلك يكون الناظر في الهدايات مدعوا إلى استفراغ الجهد في الاستخراج وإنباط ينابيع الهدايات ومداخل الفوائد ومخارجها. على أن استيفاء مواطن الهدايات كما استيفاء مطالب الموضوعات القرآنية مرام متصعب المنال متعسر المطلب.

يتعين على المفسر الموضوعي أن يلزم غرز موضوعه، وألا تأخذه فضول القول فيما لا يرى لموضوعه فيه كثير صلة، وكذلك صاحب الهدايات مذهبه التعفف عما لا يفيد منتحاه، والاستغناء بآفاق هداياته اجتباء واجتناء وإدلاء؛ فلا يعنيان معا بمشكلات الإعراب واللغة، إلا إذا تأكدت صلتها بالمعنى أو في سياق الترجيح، ولا يلهثان وراء التوسع في التفريع، والإسهاب في التشقيق، والتبسط في الأقوال؛ إنما هو وجز القول القاصد في المعنى المراد، أو الهداية المستخلصة.

35 رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، ص 227.

ويفترقان فيما يقتضيه أسلوب العرض في درسهما، وهو:

أعظم فيصل في التفرقة بين النهجين؛ ذلك أن الهدايات ماضية في ممارستها التفسيرية على سنة التفسير «التسلسلي» «الموضعي»، منقادة على سيرته الترتيبية على النسق المصحفي – سنة جمهرة المدون التفسيري، وطغى عليه هذا المنحى حتى في معالجة الموضوعات الخاصة من موضوعاته، كأحكامه مثلا[36]، وهذا الانتماء يجعلها على المفارقة الواضحة في المنهج العام، وما قد يستتبعه مما هو من لوازمه ومقتضياته – دون المشترك – مع التفسير الموضوعي الذي يتجافى – ما خلا صورة السورة الواحدة عند من تقبلها ضمنه – عن هذا النهج في المعالجة ، ويجعل منهاجه على التقابل منه، حين يسلك في تناول عرضه طريقة انتخاب الموضوع القرآني، الذي تفرقت أوزاعه في جنبات الكتاب الكريم، بما لا يسعف في السير على شرعة الترتيب التعبدي للمصحف، وارتسام أوضاع آياته وسوره؛ إذ هو مرتهن بموضوعه بحسب مواطنه وموارده.

وبناء على هذا المفرق المنهجي، تنثال فروق كلية وجزئية بين القبيلين، وما قد يشترط في التفسير الموضوعي من شرائط مما يكون تَلُوّا لطبيعته، ليست الهدايات معنية به طبيعة وتعلقا، ومن ذلك:

(1) أن الهدايات بهذه الطريقة التسلسلية وبمترسمها المنهجي العتيد تستقطر أقصى ما يستطاع من الهدي بتلبثات النظر وإرسال كتائب الفكر، تجوس خلال كل صغيرة وكبيرة، وشاذة وفاذة، مادامت تدخل في مستتبع المعاني وتنظر إلى معاني معنياتها بأي أسلوب ناهض من أساليب الاستنباط وطرائق الدلالة المعتبرة، فهي إذا هدايات قد تتوزع مؤدياتها ومودعاتها، وذاك شيء لا يستطاع سبيله على طريقة التفسير الموضوعي الذي لا يرقب في معاني الآي إلا ما يستجيب لموضوعه استجماعا لأطرافه

36 إلا ما استثني كصنيع الطحاوي في أحكامه. ومن طريف ربط التفسير بالطريقة التسلسلية أن يرى الثعلبي أن بناء التفسير على التفعيل كأنه يتبع سورة بعد سورة، وآية بعد آية. مقدمة الكشف والبيان: 191.

وإمعانا في مباحثه، وما عداه مما يرى منبت الصلة عنه، فالاهتبال به ذهول عن شرطه وخروج عن حده.

(2) يتعاسر على ناظر الهدايات أن ينتظم له منهاج النظر على النسق الموضوعي المستقل؛ لا من مكنة ملكته التدبرية وتخاذل آلته الاستنباطية، فهو الأقدر بذلك من غيره في استجماع بصائر المعاني وبينات الآي في الموضوع الواحد، ولكن لأن منهجه التسلسلي يقضي بغير ذلك، حين يعنو منهجه الإجرائي للنظر التجزيئي على وفق أوضاع الآي في المصحف. نعم، لو أفضي بمسلك الهدايات إلى تمامه؛ استيفاء لدفتي المصحف لأمكن بكثير اليسر جمع الهدايات المستخلصة في الموضوعات المدرجة وتصنيفها على معيار معين، على أنه لا ينبغي أن يفهم مما سبق أن الناظر في الهدايات حديد البصر بمنصوص الآية موضوع الدرس دون سواها من نظائرها وسمياتها، فذلك أمر ليس يعزب عن مثله أمثاله، وهو من أقوم سبيل لديه في منهج النظر، وإن كان لا يدعى له –. وما ينبغي له – أَمُّ الصورة الشاملة للموضوع على وفق السنن الموضوعي.

(3) موضوع التفسير الموضوعي له شرائط وضوابط في اختياره، **وأما الهدايات فلا تؤخذ انتقاء واجتباء حتى يصح فيها هذا الشرط**، وإنما تنتجع مساقطها في كافة مواقع وجودها في سواد المصحف الكريم على مرام الاستنباط، وهي أغيا مستفادات الكتاب؛ إذ هي بيناته وبصائره وحقائقه، وهي أنواره وجلائل مضامينه، على أن هذا لا يعني أن ليس لها شرائط وضوابط في استنباطها هي المرجع في تقبلها، أو تجاهلها.

(4) الشروط التي تشترط في الموضوع القرآني ليصح به دخوله في عرف التفسير الموضوعي، ليست بذات محل في الهدايات؛ فالكَتب على أسلوب بناء الموضوع، بعد تجميع عناصره، واستيفاء متعلقاته مثلا متعلق بالموضوعي دون غيره؛ فالخلاف في موضوع التفسير الموضوعي ومرجع الانبعاث إليه؛ أينطلق من منطوق الآي، فكيف السبيل إلى تحديده، أو هو اللفظ يتوارد تواترا في الدلالة عليه، أم كلمات مفاتح تستجلب محمولاتها بحسب ما يربطها من علائق؟ وكيف يتعامل مع التداخل الشديد بين الموضوعات، أو يتم

اقتراحه مما يؤز إليه واقع المفسر ويمتلئ به صدى مجتمعه، مما يحاذر معه أن يصير الكتاب الكريم إلى مسرح تفرض عليه تصورات أصحابها وتوجهاتهم المحكومة بواقعهم، وتجد أداة التأويل مرتعها الخصيب في تطويع المفاد، والذهاب به مذاهب من الفهم المتشبع بخلفيات متعددة، **وهذا ومثله منتف في الهدايات**، غير متصور في حقها لكونها على غير هذا الموج ودون هذه البابة، وأن منطقها قائم على التتلمذ على معاني الآي والارتواء بما تمتلئ به مغاني النصوص إفرادا ونظما من فوائد وفرائد.

(5) الضنانة أو الإكثار في وجودات الموضوعات القرآنية ومواردها ليس شرطا في التناول «الهدايتي»، بل الموضع الفارد اليتيم تكون الهدايات كفيلة بكفالته والقيام بشأنه، وتعتبر ذلك درة نفيسة تغري بالغوص لاستخراجها، وما ظنك بكتاب كريم من عند العليم الخبير هو أعمر ما يكون بمنطوقه ومفهومه عيون هدايات ومقاصد كمالات.

(6) الموضوعات المرادة للتباحث في التفسير الموضوعي ليست على درجة واحدة من الظهور، ولا من شمول القرآن لجميع عناصرها، وذلك دأب الهدايات في أنها واقعة على تفاوت المراتب وتفاضل المنازل؛ وإذا كانت موضوعات التفسير الموضوعي لا تتلقى بالقبول الحسن متى ضمرت مواردها، أو خفتت مادتها، فإن الهدايات – على تفاوتها وتراتبها – تقع تحت طائلة اقتصاص الأثر، وافتحاص النظر، ويسعى بذمتها أدناها، ليرحب بها مجال التدارس والتباحث، إلا أن يظهر ما يستوجب من مآخذ الاستدلال إهمالها وعدم الأخذ بها.

(7) رأى بعضهم أن التفسير الموضوعي باعتبار مناهجه تتفاوت مادته بسطا ووجزا[37]، ويبدي أصحاب الهدايات أن من منتهجها المنتجب هو العياذ بجوامع الكلم الدالة، واللجأ إلى الاختصار والاقتصار، [38] فيقع هذا فارقا من هذه الناحية بين القبيلين.

37 عبدالستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي ص 26 و27.

38 طه عابدين، الهدايات 55/1.

(8) تناول الآي بحسب ترتيب النزول في التفسير الموضوعي ليس شرطا، ولكنه مختار بعض من أراد هذا المنهج، ويمكن أن يعتبر الملحظ التاريخي في التفسير الموضوعي متى كان للموضوع علاقة بأزمان التشريع ومنطق التدرج فيه، ويبعد النجعة من يرى الرأي في نجاعة البعد التاريخي في تناول الهدايات؛ لأن روحها مبتناة على تطلب المراشد في تجلياتها المطلقة، وفي تنزلاتها العملية. نعم، قد يكون لرصد أساليب التشريع وأطواره مدخل قيم في تقدير مسار الهدايات والالتفات إلى مقاصدها.

(9) التفسير الموضوعي إحسان في العرض، فلا بد فيه من ترتيب عناصر الموضوع وتنسيقه، ولن تعدم الهدايات النسق الترتيبي، غير أنه لا يجري على الوفق الموضوعي، وإنما بحسب المستفاد من الموضع التفسيري المعين، لتلتئم مفاداته بعد باعتبار خاص يقوم له معيار من الهدي معتبر.

7. الهدايات والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية «الوحدة الموضوعية»

النظر إلى القرآن الكريم النظرة الكلية الشاملة التي تراه كلا متضاما، ونسقا منسجما، ونظاما متسقا هو نظر رشد وسداد؛ ذلك أن الكتاب الكريم واحد بالذات، وإن تتعددت وجوه اعتباره، وجرت أشكاله على تقسيمات لا تذهب بتماسك مادته وتوثق أجزائه وتكامل أبعاضه في مظهره ومخبره. فهو في أداء لفظه قراءات آيلة بتعدد أصلها وانتشار فرشها إلى أصل واحد، وهو في معارض شكله مسور إلى سور ترجع بظاهر استقلالها إلى «بَبَّان» واحد ومعزو مشترك وحيز متحد، والقرآن الكريم في تناوله للمعاني والمضامين والأحكام قد أخذ على ضروب من التصاريف المتقابلة؛ فهو ناسخ ومنسوخ، ومطلق ومقيد، وخاص وعام، ومجمل ومبين... وكل أولئك وغيرها لا تحدث تشويشا في وحدته ولا في تمام حقيقته.

والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية إنما ينبع من هذا المختزن، ويصدر عن هذه الشرعة؛ ومهما اختلفت العبارات في الترجمة عن مؤداه، فمآله إلى النظر في السورة الواحدة

من جهة التئام موضوعاتها المتعددة على مقصد كلي واحد، في تناسق وضع وائتلاف عنصر، وفي كثرة هي عنوان الوحدة. وعنوان الوحدة والكلية في التناول المنهجي للسورة هو الضابط الذي تفتح به لهذا الضرب من النظر أبواب التفسير الموضوعي .

وليس يعزب هذا النظر في عموم طرحه عن روح الهدايات ومبتغاها، ومرتسمات منهجها في استدعاء الفوائد والخلوص إليها، غاية ما هنالك **أن التسوير ليس شرطا فيها**. نعم هي تنتظم السورة وغيرها، فلحظ وحدة السورة مذهب ماض في سبيل استخراج هداياتها؛ لأنه ناظر إلى معيار التناسب في رصف الآي ونظامها، وإذا كان معلوما أن طلب وحدة السورة عمل اجتهادي يفيء إليه الناظر بتأمل وتدبر، فإن الناظر في الهدايات لا يدّعى له التوقيف في سيرته الاستنباطية، بل هو ماض بحسب حدود الطاقة البشرية، ومن نافلة القول أن كلا من هذا الضرب التفسيري والهدايات يجريان على سنن الترتيب المصحفي، في استلهام مناسبات النظم وأسرار بنائه، ويلحفان في مرتام السورة وخيطها المعنوي، وهو مقصد أثير تأوي إلى كهفه فرائد الفوائد وعيون الهدايات.

إن الوحدة الموضوعية في السورة تنادي باتساق معانيها في بنائها، والتحام أجزائها في جسمها، وتأمل ما يسمى بالمناسبات في أنحائها، كل أولئك عمل يكنفه التداخل ويرعاه التكامل، ويستحث الناظر في الهدايات والتفسير الموضوعي معا أن يرعيا التناسب بين آيات السورة الواحدة في سبيل الإفضاء منها إلى مقصدها الكلي؛ وإن هما واقعا غرضها الأصيل كان ذلك أيضا إمامهما في النظر إلى وشائج السورة وعلائقها، وتدبر شؤون انتظام عقد معانيها على ضرب من البيان عجيب[39].

وأقول هذا علما أنه لا ينافي أن تؤخذ الهدايات على تباعض الآي ومفرداتها في ذواتها. فطريق الهدايات بهذا الاعتبار ألحب سبيلا وأوسع طريقا من المناسبات[40].

---

39 على أن بين علم المناسبة ووحدة السورة فرقا في المفهوم والمنهج يمكن أن تنظر بعض مضامينه في منهج التفسير الموضوعي، لرشوان: 341 فما بعدها.

40 المناسبات والهدايات من «الهدايات» 531/2 وبعدها.

8. التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني والهدايات

المصطلح القرآني: هو كل لفظ قرآني عبر عن مفهوم قرآني، مفردا كان أم مركبا، أكسبه الاستعمال القرآني خصوصية دلالة هو بها ذو أثر في نسقه المفهومي[41]، وهو بما يكتنزه من كنه دلالي، وما يكنه من مخزون مفاهيمي يعتبر عنصرا أصيلا، ومكونا محوريا في فهم الخطاب القرآني؛ ذلك بأن : «الوحي مجموعة من المفاهيم منتظمة في نسق، ولا سبيل إلى فقه النسق، أو المفاهيم المكونة له، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم، فهي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبارها المدخل المصطلحي المقطوع بأنه من الوحي».[42]

لا جرم، جعلت البداءة به أول مراحل الضرب في رحلة فسر المعاني القرآنية، وانتهضت – قدما – كتب غريب القرآن والأشباه والنظائر بعزمات هذا الأمر وأقامت وزره، في انتصاب ظاهر وتأصيل باهر، وإن لم تذهب به مذهب النسق الموضوعي، وحملت مدونات التفسير إشراقات وضاءة في ناحية الاعتبار الاصطلاحي وحسن تقديره، واحتفل التفسير الموضوعي المعاصر في إحدى صوره بالمفردة القرآنية ومشتقاتها في موارد فرشها في تضاعيف الكتاب، معملا أوجه النظر في تصاريفها الدلالية من خلال ما تهيأ لها في الأسيقة القرآنية من معان، وما تأثفها من قرائن ودوال؛ ليخضعها على هدي ذلك كله إلى سلطان نظر كلي ونسق موضوعي عام، ينتظم قضاياها وأنساقها ومتعلقاتها. وبدت في متوالي الجهود منطلقات الدراسة الموضوعية للمفاهيم والمصطلحات، علما أنها لم تكن كلها على تمام التحقق بشرائط المنهج العلمي في مثل هذا اللون من الدراسة، ثم وقع التنادي إلى كلمة المنهج في درس المصطلح الذي يرعى في المفردة مذاقها الاصطلاحي، ويَقْدُرها قدرها في إقامة أوزان المعانى بحسب تقلبها في القرآن كله؛ إحصاء وجمعا لتقاليب مادتها، ودرسا لمستخلص نصوصها: معجما وسياقا، وتفهما واعبا لمكتنف وصفها ومتعلق دلالتها ومتفرعها، وموصولها من القضايا

41 انظر : البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية ص 20.

42 المصدر نفسه 6 و8 بقليل تصرف.

في كافة مواردها، والانتهاء من ذلك إلى «تركيب النسق المفهومي العام للخلوص إلى الفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم»[43].

وتمادى حبل الاعتناء بالمصطلح في سيرورته الدلالية، وابتغي السبيل إلى خدمته في كافة مآخذه من خلال مشروعات علمية كبيرة ناءت بها مراكز بحثية ومؤسسات علمية.[44]

ولا ريب أن هذا الضرب من المعالجة كفيل – إذا تحقق فيه المنهج العلمي وخطواته: جمعا ودرسا وموازنة – أن يثير كوامن النص، ويستنفر طاقاته الدلالية؛ فتنكشف في سبيله طوائف من الهدايات القرآنية، وتلتمس لديه حقائق ولطائف وفوائد في بابات المعاني القرآنية ومقاصد شرعته.

والذي يهمنا هنا في معرض الموازنة بين الدرس المصطلحي والهدايات أن بينهما فرقا من حيث المضمون والمنهج، علما أن الهدايات تبقى مطمح الدرس المصطلحي ومبتغاه، وهو من وسائلها وذرائع القربى لديها.

أما من جهة المضمون:

فالهدايات أعم متناولا وأشمل موضوعا لانطلاقها على المصطلح الواحد، واحتمالها العبارة القرآنية في امتدادات نسقها التأليفي وطرائق نظمها الترصيفي، سواء أخذت على عنوان التسوير، أو قدت من عرض القرآن في مطلق مقاطعه، وليست مباني القرآن كلها مصطلحات، ومن هنا شمول متعلق الهدايات وعموم متناولها؛ إذ سبيل الهدايات سبيل ما يناوش ما تجود به المفردات والتراكيب، وما تنطق به الأسيقة وتؤخذ من قرائن الأقوال ودوال الأحوال، من داخل النص وخارجه.

---

43 المصدر نفسه 15.

44 يمكن الوقوف عند معالم الاعتناء بالمصطلح القرءاني في مقال أ.د. فريدة زمرد ضمن : جهود الأمة في خدمة القرءان الكريم :1331/3 فما بعدها.

وأما باعتبار المنهج:

فمنهج المسلكين مختلف، ضرورةَ أن طريقة الاشتغال تختلف بحسب طبيعة الانشغال، والمصطلح هو رأس الأمر وعموده في الدلالة القرآنية، وتقع الحوالة عليه من ثم ابتداء وانتهاء، ولا كذلك أمر الهدايات الذي يهمه من ذلك أن يجتني ما يتولد عن كل دراسة للمعاني، ليأخذ أبعدها غورا، وأنسبها مقاما، وأرقاها اتساقا، وأوفقها بمقاصد القرآن الكريم، مع اعتبار أثرها في واقع الناس ومجتمعاتهم. وهذا يدل فيما يدل عليه أن مفردات المنهج التي تتصل بدقائق المصطلح وتستوجب سبر غوره والنفاذ إلى سويدائه، لا يفترض حضورها في منهاج الهدايات، وإن كان هذا لا يعني عدم وجود تداخل أو تقاطع في بعض مواطن الممارسة البحثية؛ فالتهمم بمخارج الألفاظ ومداليلها، ورعاية مقاماتها في سياقاتها الداخلية والخارجية، والدراسة المفهومية... كل أولئك من مشتركات التوارد بين القبيلين، لما أنها تندرج ضمن وسائل الاستنباط وآليات التثوير التي تطلب غاية الإفادة من معاني القرآن الكريم.

9. خاتمة ونتائج

ولمقام الختم كلمة يأوي إليها من أوزاع الدرس جوامعه ونتائجه، من خلال ما حملته الموازنة بين التفسير الموضوعي والهدايات وفاقا وافتراقا:

(1) التفسير الموضوعي والهدايات كلاهما على أصيل المنتسب لعلم التفسير: تاريخا ونشاءة، وشديد الافتقار إليه: مرجعا ومادة؛ فلا ينبغي أن يذهب بهما **إلى إيهام أن يكونا في مقام الانفصال عنه، ولو تحت عنوان الامتياز في المنهج أو الشفوف في المضمن**؛ على أنه قد يلحظ أن التفسير الموضوعي يدلي إلى علم التفسير **بطريقة عرضه وكلي نظرته**، فيما تبسُط الهدايات أنظارها برحاب نصوصه آخذة منها مهلة التدبر ومرتدة عنها بثمرات التفكر، **فيما يرجع على المادة التفسيرية بفضل إضافة، دون ادعاء إحاطة**,.

(2) لا يدعى لكليهما في الإفادة عن المراد الإلهي **القطع أو التوقيف**؛ لركوبهما في كثير من مسالكهما النظر الاجتهادي المحكوم بحدود الطاقة البشرية و المؤذن باحتمال الخطإ والصواب.

(3) **كلاهما له أهميته المنهجية وفضيلته المعرفية** في رحاب المدارسة القرآنية، وإذا امتدح التفسير الموضوعي بانفتاحه على الواقع يحلل مشاهده، ويعلل مناشطه، ويشخص إشكالاته، ويعالج ظواهره، انطلاقا من استفتاء آي الكتاب الكريم، وعرضها على بينات تنزيله، فإن للهدايات المنقبة العلمية في الاحتفال بالطبيعة النصية للقرآن الكريم؛ التفاظا بحرفه، وفطانة بلحن خطابه، واستلهاما لحكمه ومقاصده، في غير ما غطاء عن البصر بتداعيات العصر زمانا ومكانا وأوضاعا، على أنهما يلتقيان عند عربية لسان القرآن الكريم، وإنسانية خطابه، وعالمية أحكامه.

(4) **لعل أهم فيصل في التناول المنهجي** بين الطريقتين هو استئثار التفسير الموضوعي بكلية نظرته النسقية، وتبعده عن الجزئيات إلا فيما أسهم نوع إسهام في الدلالة الكلية، واحتفاله بفحوى النص وفكرته، دون عبارته ومنصوصه، أما الهدايات فهي على سنن التفسير التحليلي، تقفو أثر الآي على أوضاعها المصحفية، فلا ترتد عن ساحاتها إلا بملء فائدة ولطيف استنباط ودق دلالة. على أن هذا المفرق المنهجي بينهما لا يدفع أن يفيد أحدهما من الآخر في مؤديات المضمون على سبيل «التدبيج».

(5) **الهدايات أغيا غايات التنزيل، أينما حلت وفي أي صورة ركبت**؛ فهي تدخل في مرادات التفسير الموضوعي ومقاصد ممارسته، على تنوع صوره؛ بل إن كل المناهج العلمية والأدوات المعرفية تعتبر ضالة الهدايات؛ فالتفسير الموضوعي بكليات تناوله وآفاق تطلعه، والوحدة الموضوعية بدلالة تناسق أبعاضها وتناسب أوضاعها، والمصطلح القرآني بقيومية دلالته، خاصة إذا أخذ بصرامة الدرس العلمي عند أهله، كل أولئك إنما قصارى مرتجاه أن يفيء إلى الهداية القرآنية، وأن يأوي إلى فيحاء ظلالها، بل لا تستنكف الهدايات أن تأخذ من كل شيء أحسنه، ومن كل عين ناظره، وأن ترتاد المظان البعيدة وتستكشف

المواطن المجهولة، علَّها تأنس في رحلتها تلك هداية، ضلت سبيلها فوقعت في غير موقعها، وتغربت عن أصيل موطنها..

(6) الهدايات تعم في متدارسها السورة القرآنية وغيرها مما لم يسور، وتأخذ في موضوعاتها المصطلح القرآني وسياقاته وتصاريفه، وتتعاطى كافة الأدوات المنهجية في سبيل استجلاء غايات الهدايات، **فهي بهذا الاعتبار ألحب نهجا وأعم متناولا**.

(7) ربما لم يتح للهدايات –وهي في مرحلة النشو وإرهاصات الفشو– أن يفسح لها في ميدان التأليف وأن تصقل تنظيراتها في محاريب التنزيل، على غرار ما تمهد للتفسير الموضوعي، غير أن الخطة الذكية في الدخول بفكرتها في غمار مشروع علمي باذخ هو «**الموسوعة العالمية للهدايات القرآنية**»، يسلس فيه قياد الابتحاث إلى الدرس الأكاديمي الجاد، كفيل أن يعوض عن ذلك، وينيلها من ثمرات الإنتاج الشيء الكثير في الزمن اليسير.

(8) مما يلحظ واضحا أن الكَتب في التفسير الموضوعي قد أخذته الأقلام على تعدد طريقة واختلاف نظر، بل على تنازع في مفهوم ماهيته ومشمول مادته، فكانت الدعوات والتنادي إلى موائد علمية جامعة تدرأ ما أمكن من الخلاف، وتقرب الأنظار، وهو ما لا يجد له كثير صدى في الهدايات – بحسب مرجعيته التأصيلية – التي حاول روادها الالتفاف على خطة علمية مدروسة، ونظر منهجي منضبط، من خلال تنظيم ورشات المدارسة، وملتقيات المباحثة، على أن الرأي يلحف في أن يلتفت إلى **ضرورة إحكام قول علمي تنظيري يكون بوابة تعريفية للهدايات، باعتبارها مسلكا تدبريا له ضوابطه ومنهج النظر فيه**.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

‘Abd al-Sitār Fatḥ Allāh Sa’īd. (1985). Al-Madkhal ilā al-Tafsīr al-Mawḍū’ī. Dār al-Tauzi’ wa al-Nasyar al-Islāmiyyah.

Al-Anbārī, Abū Bakar Muhammad bin al-Qāsim bin Basyār. (1971). Īḍāḥ al-Waqaf wa al-Ibtida’ fī Kitāb Allāh, Taḥqīq: Muhyī al-Dīn Ramaḍan, Matbu’āt Mujamma’ al-Lughah al-‘Arabiyyah Damsyik.

Al-Būsyīkhī, al-Syāhid. (2002). Al-Qur’ān al-Karīm wa al-Dirāsah al-Muṣṭalaḥiyyah. Fes: Maṭba’ah Ānfū.

Al-Duqūr, Sulaimān. (2014). Al-Tafsīr al-Mawḍū’ī: Isykāliyyah al-Mafhūm wa al-Manhaj. Dirāsāt ‘Ulūm al-Syarī’ah wa al-Qānūn, Vol 41, No1.

Al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir. (1989). Dalāil al-I’jāz li ‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī. Haqqahu wa ‘Allaqa ‘alaihi Maḥmūd Muḥammad Syākir, Al-Qāherah: Maktabah al-Khānijī al-Qāherah, Ed.2.

Al-Kāfījī, Muḥammad bin Sulaimān. (1990). Al-Tafsīr fī Qawāid ‘Ilm al-Tafsīr. Dirāsah wa Taḥqīq: Nāsir Muḥammad al-Maṭrūdī. Damsyik: Dār al-Qalam. Ed.1.

Al-Khālidī, Ṣalaḥ ‘Abd al-Fatāḥ. (2012). Al-Tafsīr al-Mawḍū’ī Baina al-Naẓariah wa al-Tatbīq, Dirāsah Naẓariah Taṭbīqiyyah Mirfaqah bi Namāzuj wa Laṭāif al-Tafsīr al-Mawdū’ī. Dār al-Nafāis li Nasyar wa at-Tauzi’. Ed.3.

Al-Khūlī, Amīn. (1982). Al-Tafsīr: Nasya’tuhu, Tadrijuhu, Taṭawuruhu. Lubnan: Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Maktabah al-Dirāsah, Ed.1.

Al-Naṣīrāt, Jihād. (2013). Al-Tafsīr al-Mawḍū’ī wa Isykālāt al-Baḥath fī al-Mafāhīm wa al-Muṣṭalaḥāt al-Qurāniyyah. Dirāsāt ‘Ulūm al-Syarī’ah wa al-Qānūn, Vol 40 No 1.

Al-Syairāzī, Nāsir al-Dīn Abī Sa’īd ‘Abd Allāh bin ‘Abd Allāh. (1985). Anuār al-Tanzīl wa Asrār Al-Ta’wīl (Tafsīr al-Baiḍāwī). Dār al-Jīl, Ed.1.

Al-Ṭāī, Muḥammad bin ‘Abd Allāh bin Mālik. (1967). Tashīl al-Fuwāid wa Takmīl al-Maqāsid. Taḥqīq: Kāmil Barakāt. Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

Al-Ṭayār, Musā’id. (2012). Al-Tafsīr al-Mawḍū’ī: Wajhah Naẓar Ukhrā. Official website, publish date 23/7/1433H / 13/6/2012M.

Al-Thu’labī, Abī Isḥaq Aḥmad bin Muḥammad. Muqaddimah al-Kasyfu wa al-Bayān ‘an Tafsīr al-Qur’ān. Dirāsah wa Taḥqīq: Khālid bin ‘Aun al-‘Anzī, Kanūz Isybiliyyā.

Al-Zarkasyī, Badr al-Dīn. (1980). Al-Burhān fī ‘Ulūm al-Qur’ān li Badr al-Dīn al-Zarkasyī, Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrahīm, Dār al-Fikr, Ed.3.

Al-Zarqāfī, Muḥammad ‘Abd al-‘Azīm. (1383). Manāhil al-‘Irfān fī ‘Ulūm al-Qur’ān. Mesir: Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabiyyah. Ed.3.

Asmā’ ‘Abd Allāh ‘Aṭā Allāh. (2012). Manhaj al-Dirāsah al-Mawḍū’iyyah li Āyāt al-Mawdū’ al-Qur’ānī (Naqdu wa Ta’sīl). Majallah Jāmi’ah Damsyik li ‘Ulūm al-Iqtiṣādiyyah wa al-Qānūniyyah, Vol 28 No 2.

Basyūr ‘Uthmān. (2014). Mādah al-Tafsīr al-Mawḍū’ī Muqarrar al-Mādah al-Sunnah al-Thāniyyah Syu’bah al-Tafsīr wa Syu’bah al-Ḥadith, Kuliyyah Usūl al-Dīn, Qism al-Kitāb wa al-Sunnah, Jāmi’ah al-Amīr ‘Abd al-Qādīr li al-‘Ulūm al-Islāmiyyah bi al-Jazāir, 2013M/2014M.

Ibnu ‘Āsyūr. Muḥammad al-Tāhir. Tafsīr al-Taḥrīr wa at-Tanwīr. Al-Dār al-Tunisiah.

Ibnu al-‘Arabī al-Ma’āfirī, Abū Bakar, Muḥammad bin ‘Abd Allāh. Qānūn al-Ta’wīl li al-Qāḍī. Dirāsah wa Taḥqīq: Muḥammad al-Sulaimānī. Jeddah: Dār al-Qiblah li Thaqāfah al-Islāmiyyah.

Ibnu Ḥanbal, Aḥmad. (2001). Musnad al-Imām Aḥmad bin Ḥanbal. Taḥqīq: Syu’aib al-Arnaūṭ wa ‘Ādil Mursyid wa Ākharūn. Muassasah al-Risālah. Ed.1.

Ja’far, ‘Abd al-Ghafūr Maḥmūd Musṭafā. (2007). Al-Tafsīr wa al-Mufassirūn fī Thaubihi al-Jadīd. Mesir: Dār al-Salām, Ed.1.

Majmu’ah min al-Asātizah. (2013). Juhūd al-Ummah fī Khidmat al-Qur’ān al-Karīm wa ‘Ulūmihi. Maṭba’ah al-Ma’ārif al-Jadīdah bi al-Ribāṭ. Ed.1.

Musṭafā Muslim. (2000). Mabāḥith fī al-Tafsīr al-Mawḍū’ī. Damsyik: Dār al-Qalam Damsyik. Ed.3.

Rasywānī, Sāmir ‘Abd al-Raḥman. (2009). Manhaj al-Tafsīr al-Mawḍū’ī li Qur’ān al-Karīm, Dirāsah Naqdiyyah. Syria: Dār al-Multaqā, Ed.1.

Taha ‘Abd al-Raḥman. (2012). Tajdīd al-Manhaj fī Taqwīm at-Turath. Al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī al-Mamlakah al-Maghribiyyah. Ed.4.

Ṭaha ‘Ābidīn Ṭaha Ḥamad, wa Yāsīn Hāfiz Qārī, wa Fakhr al-Dīn al-Zubair. (2017). Al-Hidāyāt al-Qur’āniyyah Dirāsah Ta’sīliyyah. Maktabah al-Mubtanī.